ما بال وجهكِ مجروح

حلمي صابر – صفر 1445هـ



اللوحة لفنانة عراقية

أهذا وجهكِ ؟!

أم وجه العراق على وجهك يبكي

لمَ صار وجهكِ هكذا يا بغداد ؟!

شفتاكِ صامتةٌ ، وعيناكِ تتكلم ، لكنها تتألم

ألمٌ على ألم ،

حروقٌ ،

شروخ وشقوق ،

جروح ،

حكتْ الهناءُ قصتكِ في لوحتها

كَظمتْ الغيظ ، وهربَتْ بجراحاتها ، وبقيَ في لوحتها الجرحُ والحزنُ وغَصَّتها

صارت هجرة الهناء من العراق لها وعاء

وكيف اجتمع الهناءُ والشقاءُ !

آه يا عراق

غبار التاريخ في طينك

الآشوريون ، والخلافة العباسية

والهاشميون

واليوم ، على وجهك قماشات ممزقة ، خلفها قروح !

هل فوق وجهك ضمادات ؟! ، أم حتى ضماداتك جروح !

ما أشدَّ ألمك ، وما أعمق جرحك

حتى ضماداتك ، رائحة الصديد منها يفوحُ ؟!

عاتبنا دجلة والفرات

توقفوا ، كفوا

ملأتم نهريَّ قهرا وأحزانا ودموعا بلا حدود

خدودي صارت من الدموع خدود !

هل سمعتم بكاء العيون ؟!

جفَّ فراتي ودجلتي

صار قتالكم لجرياني سدود

لم وجهكِ محروقُ يا غاليتي يا عراقِي يا عروقي

منْ أحرقك !

ولِمَ أحرقك ؟!

ما الذي اقترفتي ؟

أخبريني

بريئة ، طاهرة

لماذا أُحرقتي ؟!

حريقك كحرقي

نار تغلي

وضجيج في صدري

عجَز أن يفهمه عقلي

ستعودين

وستزول آلامك

ويبقى الألم

إضافة ذكرى إلى آلام ذكرياتك

وكم فيك من أحزانِ التاريخ من ذكرياتٍ وذكرى

تنظريني ، وعيناك تعاتبني

بنظراتك تلوميني

أرجوكِ ، لا تعاتبيني فليس عندي عذر مقبول

رفعوا السلاحَ عليكِ ، وبالرصاص رموكِ

اختلفوا، وتفرقوا ، وتقاتلوا ، وأرادوا للعراقيين بالسلاح جمعهم

وهل السلاح يجمعُ ؟!

وأسائل السلاحَ: بعد أن مضى السلاح

كم عراقي في الحرب مضى ؟!

وكم عراقي قتِل ولم يدرِ لمَ قُتِل !

وكم بيت هُدِم ؟

وكم أرملة وطفل يُتِم ؟!

وكم أحياء بالحياة دفنوا ؟!

وكم ضيعوا لأبٍ ولده ؟!

وكم بكت أمٌّ أحزانا على والدٍ وولد ؟!

أيها الموال العراقي الحزين ؟

أأسمعكَ صوتي الشجي ؟

وبعد أن توقفَ قتالكم

اسألكم : ماذا جنيتم ؟!

أربحتم أم خسِرتم ؟!

ألا ترى بأنكم صرتم بأسوأً مما بدأتم

كنتم تقاتلون بعضكم ، وهل بذلك سيكون منتصرٌ منكم !

كلكم هازمون لأنفسكم ، ولعراقكم هزمتم

هل كانت العراق بالأمس عجوزًا وصارت اليوم فتى ؟!

ألا تبصرُ ؟ ألا ترى ؟!

يا لوحةً ، حتى ضماداتك مشققة

حتى جروحك مبعثرة ، وضماداتك على وجهك منثَّرة !

يا ألما على ألمي

سأصرخُ : توقفوا

لكن صوتي من الصراخ

يا حزينتي

مبحوح

خذِ منديلي

وامسحي الألمَ

وامسحي الدمعَ

لننسى يا حبيبتي بغداد

الألمَ والآهات

فكلانا مجروح

ووجهانا محروق

أليس بعد غروب الشمس ، شروقُ

سأظل متفائلا

ولو في داخلي

حريق

وألم

وشقوق

____

انتهى